مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م١٦ ع٢، ص ص: ١٣٥-١٨٥ (١٤٢٩/٢٠٠٨هـ)

أثر الإسلام في شعر بهاء الدين زهير (ت٦٥٦هـ)

حسن فالح بكور

أستاذ مشارك - قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب - جامعة الحسين بن طلال - معان

الأردن

المستخلص. يسعى الباحث في هذا البحث للكشف عن مدى تأثُّر الشاعر بهاء الدين زهير بالإسلام: لغةً وتركيبًا في البناء الشِّعري، وفكرًا ومنهج حياة على صعيد الواقع، والمعاملات الحياتية وشبكة العلاقات الاجتماعية، ولتحقيق هذا المبدأ، وتلك الغاية سار البحث في أربعة محاور، تناول المحور الأول: إيمان الشاعر من حيث اعتقاده بوحدانية الله، والقضاء والقدر، وصفات الله عز وجل، وعلمه بالغيب والقضاء والقدر، وأنه الرازق الرحمن الرحيم، وكان ذلك من خلال الشعر الذي ينطق بهذه العقيدة. وأما المحور الثاني: فإنه يدور حول خُلُق الشاعر من حيث: الصِّدق، والوفاء، وعزّة النفس، والصّبر على الأذى، والتحمُّل، ودماثة الخلق وصفاء السريرة، واللسان، والعفّة، والطهارة، والزُّهد في متاع الدُّنيا الزائل، وأثر الإسلام في تشكيل هذه الأخلاق في ديوان الشاعر.

وأما المحور الثالث: فقد خُصِّص للتوبة والاستغفار، وكان التأثر فيه بارزًا بالإسلام، لأن الشاعر يدرك أن التوبة بُعدٌ إيمانيّ

لما ورد في القرآن من آيات تحثّ على الاستغفار، والتوبة، وفي هذا المحور: يعبِّر الشاعر عن النّدم بحرقةٍ وألم، عمّا ارتكبه من ذنوب في سالف الأيام(١).

وأمّا المحور الأخير فكان عنوانه: "التشكيل اللغوي"، وفيه بيّن الباحث، وقدّم المفردات، والتراكيب الشعرية، التي جاءت في الشِّعر لتخدم الأفكار المركزية في سياقاتها المختلفة، وكان الشاعر يوظِّف تلك التراكيب، وبعض القصص القرآنية، مستعيناً بها لخدمة الفكرة وتطويرها، ويرى ذلك من خلال الأثر الإسلامي الواضح في شعره بصورة جلية لا لُبس فيها، ولا غموض.

مقدمة

يتناول البحث موضوعًا دينيًا يتعلّق بنظرة الشاعر إلى الخالق، والصُّورة المشكّلة عنه في رؤيته، ومدى تمثُّله للقيم، والأخلاق الإسلامية، والمُثُل العُليا المستوحاة من القرآن الكريم، وبيان الأثر القرآني اللغوي، والقصصي في شعر بهاء الدِّين زهير، وكذلك موقف الشاعر مما علق به من الآثام في حياته، وممارساته اليومية، وإعلانه التوبة، والاستغفار لله تعالى اعترافًا منه بالتقصير في أداء الأمانة والرسالة السماوية.

ولقد اتّبع الباحث في الوصول إلى تلك الرؤى والأبعاد الدينية، القراءة المتعمّقة لديوان الشاعر، والبحث عن المقاربات في التشكيل اللغوي، والدلالات والمضامين الفكرية في القرآن الكريم، وأثره في فكر الشاعر، ووجدانه، ولغته، وللوقوف على هذا الأثر، وكشف العلاقات بين الإبداع والفنّ من جهة، والقرآن الكريم من جهة أُخرى، سار البحث في أربعة محاور هي: الإيمان والعقيدة، والأخلاق الكريمة، والتشكيل اللغوي، والتوبة والاستغفار.

وقبل الولوج إلى معالجة تلك المحاور يقتضي الأمر إطلالة سريعة على حياة الشاعر: فهو بهاء الدين زهير أبو الفضل زهير بن محمد بن علي بن يحيى ابن الحسن بن جعفر بن منصور بن عاصم المهلبي العتكي، الملقب بهاء الدين الكاتب، ولد بمكة في الخامس من ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة هجرية، ثم انتقل إلى مصر، وأقام بمدينة قوص، ونشأ هناك، واتصل بأعيان عصره من أمثال: الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل، وكان له مخلصًا، ومن فضلاء عصره، وأحسنهم نظمًا ونثرًا وخطًا، ومن أكبرهم مروءة، وتوفي سنة ست وخمسين وستمائة هجرية، بمرض عظيم ألم به بمصر، وفيما يلي مُعالجة مفصلة لهذه المحاور والأبعاد.

المحور الأول: الإيمان والعقيدة

يستشعر الباحث وهو يطالع ديوان بهاء الدين زهير أن ثمّة نزعةً دينية تتجذّر في نفس الشاعر وأعماقه، وهي الموجِّهة لسلوكه، والمحركة لكل أفعاله، وتصرُّفاته الحياتية، ويؤمن إيمانًا جازمًا بأن الله ﷻ خالق كل شئ، ومدبّر الكون بكل سكناته، وحركاته، وجماداته، وأحيائه، وأنه الرزاق لعباده، العالم بالسّرائر، القادر على كل شئ، الفعَّال لما يُريد، كما هو مقدِّرٌ في اللوح المحفوظ.

وعلى الإنسان أن يمتثّل لأوامر الله وقضائه من خلال الالتزام بنهجه، والسّير على طريق الهداية، ونبذ الضلالة والغواية، وطرق الفساد في الأرض، والإخلاص في العمل للّه، واغتنام الفُرَص المواتية لتحقيق ذلك الخلق النبيل، قبل فوات الأوان، لأن الأيام دول تتقلّب من حالٍ إلى حالٍ، فمن سرَّه اليوم حال، أساءته غدًا أحوال، فهذه سُنّة الحياة، فإنّ العُسر يعقبه يُسرٌ، واليسرُ يعقبه العسر، فكلٌّ على هذه البسيطة يستظلُّ بحمى الرّحمن، وما على الإنسان إلا أن يكون عبدًا مطيعًا للّه، وملتزماً بالإصلاح قولاً وعملاً.

ويؤمن الشاعر بالله، ويرتضي بسبيله، عقيدة ومنهجًا لا يحيد عنهما، ويظهر ذلك الإيمان، وتلك العقيدة من خلال تكرار لفظ الجلالة "الله" في ديوانه أكثر من مائتي موطن، والنصوص الشعرية الآتية غيضٌ من فيض في بحره الزاخر بمفردات الإيمان والعقيدة، فمن القسم قوله:

واللهِ مُذْ فارقتُكم   لم تصفُ لي مواردِي(٢)

ويقسم بالله أن إتيانه لممدوحه، وزيارته له ليست إلا محبةً فيه، لما يجده من فضيلة عنده:

واللهِ ما آتيك إلا محبّةً   وإنّي في أهلِ الفضيلةِ أرغب(٣)

وله في صديق خبيث يعرف دواخله ومع ذلك، يذكره على الدوام بالخير، ويستحلف الآخرين أن يكتموا ما سمعوا عنه:

صديقٌ سأذكرُهُ بخيرٍ   وأعرفُ كُنْهَ باطنِهِ الخبيثا
وحاشا السامعينَ يقالُ عنهُ   وباللهِ اكتموا ذاكَ الحديثا(٤)

ويقسم بالله أن مدينة دمشق ما تزال جميلة إلا أنها تزداد جمالاً وروعةً حينما تحتضن الممدوح:

وواللهِ ما زالت دمشقُ مَليحَةً   ولكنّها عندي بكَ اليومَ أملحُ(٥)

ولعل الشاعر حينما يمتاح معانيه وأفكاره، متأثرًا فيها بالقرآن الكريم شكلاً ومضمونًا، إنما يصدر عن رؤية واقعية، أساسها التغنِّي بالجمال الفني، الصادر

عن الواقع المعاش، وهي الغاية التي من أجلها خلق الإنسان (إذا كنا نتغيّا في الأدب أن يكون وسيلة لرقي الإنسان، وتبصيره بالحق، والخير، والجمال، وتحقيق المتعة الفنية، فلا بد أن يكون القرآن الكريم في مقدمة ما يجب أن يراجعه الفنان، وهو يتعامل مع الحياة، ومعطياتها بفنِّه، وأن يجعله من أهم مصادر وسائله وغاياته) (٦). ويعتقد الشاعر أن النجاح في الدنيا لا يتأتّى إلا من خلال الابتعاد عن الإفساد في الأرض، واتباع خطوات الإصلاح، وهي قيم إسلامية نابعة من القرآن الكريم (فأي نتاج أدبي يصدر عن هذه القيم الإسلامية، ويدور في فلكها، إن هو إلا ممثل لهذا الاتجاه، ونحن حينئذ إنما ننظر إلى ما قيل لا إلى من قال) (٧)، ويقسم بذلك قائلا:

وكم تصحَبُ من يفــــــــــــــــسدُ في الأرضِ ولا يُصلــــــــــح
فبالله متى يُفلــــــــــــــــحُ من ليس يُرى يُفلــــــــــــح(٨)

وقد وردت لفظة الفلاح في القرآن الكريم في مواطن كثيرة، وفي إشارته إلى زوال الشباب، وما فيه من سعادة، ولهو، ونعيم، وبكائه على تلك الأيام الخالية، لعل الدّمع يُعيد سالف الزّمان، يقرر الشاعر بالقسم بالله أن الشباب لن يسمع تلك الأمنيات، ولن يعود ثانية:

رَحَلَ الشَّبابُ ولم أنَــــــــــلْ من لذّةٍ فيهِ نَصيبـــــــــــــــي
أرسلتُ دمعي خلفـــــــــــــــهَ فعساهُ يرجعُ مِن قريــــــــــــبِ
هيهاتَ لا واللــــــــــــــــهِ ما هو بالسّميعِ ولا المجيـــــــــبِ(٩)

وفي مواقع كثيرة من شعر بهاء الدين زهير يرد الشاعر كل شئ إلى الله علاّم الغيوب، فالله يعلم السرائر وما تخفي الصدور، كقوله:

لي في الغرامِ سريرةٌ   واللهُ أعلمُ بالسّرائر(١٠)

ويتجلى إيمان الشاعر بقدرة الله على معرفة ما يستسّره المرءُ في نفسه من أعمالٍ ونيّات بقوله:

إنّ لي نيّةً وقد علمَ اللّه   بِها وهو عالمُ النيّات(١١)

ومن خلال إيمان الشاعر بأن الله -عزّ وجلّ- يعلم السر وأخفى، فإنه بهذا التصور يعتقد بوحدانية الله، وقدرته، وعلمه كلَّ شيء، وهذه الرؤية تتفق مع ما يذهب إليه الدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا في التصور الإسلامي للخالق عزّ وجلّ (١٢).

وفي معرض حديثه عن تقلب الأيام وشدّتها، وتحوّلها من حالٍ إلى حال، فمن راحة إلى شغل، وتعب، وخطوب، ومصائب، ويعلم الله بهذا كله:

كلّما قلتُ استرَحنَا   جاءَنا شُغلٌ جَديدُ
وَخطوبٌ ينقُصُ الصبّرُ   عَلَيها وتزيدُ
إنّ هذا عَلِم اللهُ   هو الغُبنُ الشديدُ(١٣)

وتتجلى عقيدة التوحيد والإيمان بالله وحده، من خلال إخلاص العمل، والنية له، وأن يتطابق القول، والعمل، والإعلان، والإسرار، لأن التوجه لغير الله وسوسة، وكل ما خلا الله باطل.

اخلص لربّك فِيما كانَ من عَمَلِ   وليتفق مِنكَ إسرارٌ وإعلانُ
فكلُّ فِكرٍ لغيرِ اللهِ وسوسةٌ   وكلُّ ذِكرٍ لغيرِ اللهِ نِسيانُ(١٤)

وهذا تأثر واضح بالقرآن الكريم، وهو مقتبسٌ من قوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥ ﴾(١٥) .

ويؤكد الشاعر حتمية قضاء الله وقدره، وعلى الإنسان أن يمتثل تلك التشريعات السماوية، ويصدِّق بها، لا بالأبراج السماوية التي يؤمن بها بعض الناس، فسعادة الإنسان لا صلة لها بالمريخ أو زحل، وما على الإنسان إلا أن يغتنم زمانه للامتثال بأوامر الله وطاعته، قبل فوات الأوان، لأن العمر ثمين لا عوض عنه، والأيام دول تتقلب من حالٍ إلى حال، وفي هذا إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك...) (١٦).

فالشاعر يؤمن إيمانًا مطلقًا بإرادة الله تعالى، وقوته، وجبروته، رافضًا ما يُشاع من أساطير وخرافات، ومن تدخُّل أبراج الجدي والحمل في سعادة الناس، مؤكدًا أن حكم الله نافذ لا مرد له. (ومن هنا فقدر الإنسان لا تحكمه حتمية تاريخية، أو اقتصادية، أو تعقد العلاقات الاجتماعية، أو آلهة متعددة تتماثل أفعالها مع أفعال البشر، بل قدر الإنسان هو ما أراده الله لهذا الإنسان في حدود ما يفعل، وما ينتج من سلوك، لاسيما قد أوضح أمامه طريق الخير، وطريق الشر)(١٧).

ضيّعتَ عُمركَ فاحزن إن فَطِنتَ لَهُ   فالعمرُ لا عِوَضٌ عَنهُ ولا بَدَلُ
سَابِق زَمانَكَ خوفًا من تقلّبه   فَكَم تَقَلّبَت الأيّامُ والدّولُ

واعزِم مَتى شِئتَ فالأوقَاتُ وَاحِـــدةٌ   لا الرّيثُ يَدفَعُ مَقدُورًا وَلاَ العَجَـــلُ
لا ترقبِ النّجمَ في أمرٍ تُحاوِلُـــــهُ   فاللهُ يَفعَلُ لا جَديٌ ولا حَمَـــــلُ
مَعَ السّعادَة ِما للنّجمِ مِن أثـــــَرٍ   فلا يغرّك مريخٌ ولا زُحــــــلُ
الأمرُ أعظمُ، والأفكارُ حائـــــِرَةٌ   والشّرعُ يَصدُقُ والإنسانُ يَمتَثـِلُ(١٨)

ولعلّ الشاعر يأخذ فكرة الإيمان بقضاء الله وقدره من القرآن الكريم مصداقًا لقوله تعالى: ﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ (١٩).

وهذا الإيمان مبدأ يلازم الشاعر في اعتقاده، ووجدانه، وأعماله الحياتية، الذي قضاه له ﷻ (وأنّ كل ما يحدث للإنسان إنما هو مكتوب في لوح القدر منذ أن يخلق الإنسان، وبذلك فلا مردّ لحكم الله ولا مبدل لكلماته) (٢٠).

ويدعو الشاعر صاحبه إلى الالتزام بالنهج الرباني، والسير على هدى الرحمن، من خلال حثه، ودعوته إلى ذكر الله وتسبيحه، وعدم التثاقل إلى الذكر، وهذه الرؤية إنما مصدرها إيمان الشاعر بعقيدة التوحيد، التي لا تنفصل عن الإبداع الفني (لأن الصلة بين العقيدة وبين الفن صلة قوية، متجذرة مع التاريخ الثقافي للإنسان، وعضوية متأصلة في تفكير كل إنسان في كل زمان ومكان)(٢١). ويطمئنه بأن كل شدة إلى انفراج، فما كل شئ يبقى على حاله، فبعد العسر يسر، فلا تضيِّع عمرك خسارة في اللهو واللعب، فطريق الحق واضحة فمن سلكها ربح، ومن تنكَّب سبيلها خسر:

ألا أيُّهَا النّائـــــــــــــــمُ إنّ الليلَ قد أصبَـــــــــــحْ
وَهَذا الشّرقُ قَد أَعلَــــــــــــنَ بالنّورِ وَقَد صَـــــــــرّحْ

ألم يُوقِظكَ مَن ذَكّـ   ـر بِاللِه وَمَن سَبَّحْ
فَمَا بَالُ دَوَاعِـيكَ   إِلَىَ الخَيرَاتِ لاَ تجنَحْ
إِذَا حَرَّكَكَ الّذِّكـرُ   تَثَاقَلتَ وَلَم تَبْـرحْ
أَضَعتَ العُمرَ خُسرَانَـاً   فَبِاللهِ مَتَى تَربَحْ
لَقَد أَفلَحَ مَن فِيـهِ   يَقُولُ اللهُ قَد أَفلَحْ
إِذَا أَصبَحتَ فِي عُسـرٍ   فَلاَ تَحزَن لَهُ وَافـرَحْ
فَبَعدَ العُسرِ يُسرٌ عَـا   جِلٌ وَاقرَأ أَلَم نَشـرَحْ(٢٢)

إنها دعوة مباشرة إلى الإنسان الغافل التائه ليتَّبع النهج القويم، والسير على طريق الحق، وإنها نابعة عن إحساس عميق بالمسؤولية الملقاة على كاهله، وبالشعور الإسلامي المتغلغل في وجدانه وأعماقه، ومن هنا فالأدب الإسلامي يحمل رسالة الإسلام، والدعوة إلى الله بصراحة أو بالتلميح (٢٣).

وفي هذا النص تأثر واضح بالقرآن الكريم من خلال قوله: فبعد العسر يسر. وهذا اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾(٢٤).

وفيما مضى من النصوص الشعرية الزاخرة بمفردات الزمان، نرى كيف تمكن الشاعر من توظيفها إيمانيًا، فالعمر يزول، ويضيعه الحائر التائه، والأيام دول ومتقلبة، وعلى الإنسان أن يُسابق الزمن، ويغتنم الفرصة قبل فوات الأوان، وقوله أضعت العمر خسرانًا فبالله متى تربح؟ ومن هنا (يتبين دور الطبيعة الزمانية في إثراء تجربة الشاعر وقضيته الإيمانية...) (٢٥).

ويدعو الشاعر أصحابه إلى اتباع طريق الله، والتخلي عن سبل الضلالة والغواية، فهي مسالك وعرة غير حميدة العقبى، ويتساءل الشاعر عن هؤلاء القوم "فهل أنتم من قوم لوط بقية، وإن لم تكونوا بأفعالكم من قوم لوط، فإنّهم ليسوا عنكم ببعيدين، وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ (٢٦). وهذه دعوة صريحة إلى نبذ طريق الظلمات، ومذاهب الظلال والفساد، والالتزام بسبيل الرشاد والحق، وعبادة الله وحده:

أَيَا مَعشَرِ الأصْحَابِ مَالِي أَرَاكُــــمُ   عَلَى مَذهَبٍ وَاللهِ غَيرُ حَمِـــيدِ
فَهَل أَنتُم مِن قَومِ لُوطٍ بَقِيّــــةٌ   فَمَا مِنكُم مِن فِعلِهِ بِرَشِيــــدِ
فِإن لَم تَكُونُوا قَومَ لُوط بِعَينِهِــــم   فَمَا قَومُ لُوطٍ مِنكمُ بِبَعِيـــدِ(٢٧)

وهكذا استطاع الشاعر أن يعبر بهذا الفن عن حسِّه الإيماني الصادق، وحين يعبّر الفن عن حقيقة العقيدة، فإنه لا يعمل على رفعة البشرية، وإطلاقها من الضرورة، والقيد، والانحسار، في النطاق المحدود فحسب، بل إنه من الوجهة الفنية البحتة يكون فنًا كونيًا لأنه يعبر عن حقيقة الوجود (٢٨).

وثمة توجيهٌ ديني، وإرشاد أخلاقي من لَدُنِ الشاعر إلى صديقه السائر في غيِّه، وضلالته، وجهالته، الذي راح يستحسن القبيح ويسترسل في غوايته، فلم يَعُد يحفظ سورة الفاتحة أو سورة الأعلى:

لقد أصبحتَ تستحســــــــ   ـــنُ ما غيرُك يستقبـــــــحْ
وقد أخَّرتَ ما كنــــــــتَ   به من قبلُ تستفتـــــــحْ

إذا لم تحفظ الحمـــــــــــدَ فلِمْ تسأل عن سبِّــــــــــــحْ
إلى كم أنت في غيِّـــــــــــــك تُمسي مثلَ ما تُصبـــــــحْ(٢٩)

ويعتقد الشاعر أن مُراده، وما يطمح إليه، أن يظّل القوم ينعمون بالخيرات في رحاب الله ورضاه:

وإذا كنتم من الله في خيـــــــــرٍ وفي نعمةٍ فذاك مُـــــــرادي(٣٠)

وفي أبيات أخرى يرى الشاعر: أن رحمة الله بالناس واسعة، فإن طغت الهموم على الناس، وتثاقلت فإن زوالها حتميّ مثلما تزول المسّرات، فلا دوام للهموم والأفراح، وكلما ازداد الخطبُ، وعظم أمره، وجثا على صدر المؤمن، كان الأجر عظيمًا على قدر المصائب:

أيها الحامل همَّـــــــــــــا إنَّ هذا لا يـــــــــــــدوم
مثلما تفنى المسّـــــــــــرا تُ كذا تفني الهمـــــــــــوم
إن قسا الدّهر فـــــــــــإ نَّ الله بالناس رحيـــــــــــمُ
أو ترى الخطبَ عظيـــــــمًا فكذا الأجر عظيـــــــــمُ(٣١)

وإذا كان الشاعر يعتقد أن طريق الحق غاية الإنسان، فإنه يؤمن أن الله هو الرازق لعباده، فلا يطلب الرزق إلا منه:

أأطلب رزق الله من عند غيـــــره وأسترزق الأقـــــوام والله رازق(٣٢)

وربما كان هذا من قبيل قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ (٣٣).

وهكذا كشفت النصوص الشعرية جل رؤى الشاعر منوطة بالله لغة، وتوجهًا ونصحًا، يجسد مدى تأثره الإسلامي، وتمثله لمنظومة القيم الإسلامية من وجهة نظر دينية، تمثّلت ملامحها في التراكيب اللغوية، والمفردات الدّالة على تلك الرؤية من حيث: اعتقاده بوحدانية الله – عَزَّ وَجَلَّ – علاّم الغيوب، والنيّات، وسرائر القلوب، وأن التفكير الصادق ينبغي أن يتوجّه به العبدُ إلى الله، والتفكير فيما سوى الله وسوسة، وأن الذكر لغيره كما يقول الشاعر نسيان، ولعلّ هذه المنهجية التي ارتضاها الشاعر تعبّر عن رؤية واقعية يعيشها في واقعه اليومي، ويمارسها على صعيد المعاملات مع الآخرين في مجتمعه، وفي إشارته إلى أصحابه وأصدقائه تتبلور تلك الرؤية، وتتعمّق حينما يتوجّه إليهم بالنصح والإرشاد، وضرورة التحلّي بالصّبر حينما تتعاظم الهموم، وتتكالب المحن، والمصائب، موجّهًا إياهم إلى التوكل على الله طمعًا في رحمته، واستزادة في الأجر العظيم، الذي يدّخره الله لعبده.

وإذا كان الشاعر يُقرّ بهذه العقيدة الإيمانية الصادقة، معترفًا بأن الله تعالى وحده الخالق، الرزاق، القادر، الرحمن، الرحيم، وغير ذلك من صفاته تعالى، فإنّ أخلاق الشاعر ستكون مستمّدة من القرآن الكريم في شتى مجالات الحياة، وهذا ما ستكشف عنه النصوص الشعرية الآتية.

المحور الثاني: الأخلاق الإسلامية

يلحظ المتتبع لشعر بهاء الدين زهير، امتثاله للأخلاق الإسلامية، والانتصار لها، لعظمتها وسموّها (فالقيم الخلقية هي أعلى وأجمل في المجتمع العقائدي، بل

هي أجمل وأندر ما في الحياة كلها، والوجود كله)(٣٤)، وقد وردت هذه المعاني في ديوان الشاعر متأثرًا فيها بالقرآن الكريم، ويحدثنا ابن خلكان عن مكارم أخلاقه بقوله: "كنت أودّ لو اجتمعت به، لما كنت أسمع عنه، فلما وصل، اجتمعت به، ورأيته فوق ما سمعته عنه: من مكارم الأخلاق، وكثرة رياضته، ودماثة السجايا... " (٣٥).

وإن حديث الشاعر يتميز بالعفّة، والطهارة، فكلماته نقية، ولسانه مهذّب، لا سبّ فيه أو شتم، وضميره كذلك، ووجدانه وسريرته، ولعل اللسان من أهم جوارح الإنسان، التي تشهد على صاحبها، ذاك لأنه وسيلة مباشرة للتعبير والتعامل، وهو عنوان لصاحبه، وصورة لخلقه وسيرته (٣٦)، وما يميزه عن الآخرين الوقار، والاتزان، ودماثة الأخلاق مع الصمت:

طاهر اللفظ والشّمائل والأخـــــلاق عفّ الضمير واللحظات
ومع الصمت والوقار فإنـــي دمث الخلق طيبِّ الخلـــوات(٣٧)

ولعل حنين الشاعر إلى وطنه (الحجاز) حينما يكون بمصر خير دليل على صدق هذا الوفاء.

أحن إلى عهد المحصّب من منــى وعيشٍ به كانت ترِفُّ ظلالــه(٣٨)

وإذا ما هم بالرحيل عن مصر، عاش صراعًا داخليًا، يتنازعه ويجعله مترددًا، أيرحل أم لا؟ فهو يحيا تجاذبات مختلفة، تملي على نفسه هذا الصراع، ومن هنا (كانت نفس البهاء تنازعه عند الرحيل وتغالبه، أيرحل عن مصر، أيغادر طيب نعيمها؟ أيترك مجلس الحسن، وقرة العين، وبهجة الفؤاد، وهو دائم

الحنين إليها، مغتربًا عنها، لا يرى بلدًا من البلاد يفوقها في رفاهة العيش، ومظاهر الجمال) (٣٩).

أأرحل عن مصر، وطيب نعيمها   وأي مكان بعدها لي شائق؟(٤٠)

والصبر على الشدائد سمةٌ أخرى تميّز بها الشاعر، وهي خلق إسلامي رفيع، يتحلى بها المؤمنون حينما يتعرضون للأذى من الآخرين (فيرفعون في مواجهتهم لواء الخلق الرفيع، ويتجاوزون حقدهم بالصبر، ويرسمون نموذجًا للمثل الأعلى يحتذيه الآخرون) (٤١). فالشاعر يتحمّل الضّيم، ممن يحب من الممدوحين، ويعذّب في هواهم، ويموت في النهار، ويبعث، وهو بهذا الصبر، والتحمل ينتظر الفرج واللطف من الله، أنها لمحات صوفية مستغرقة:

أمولاي إني في هواك معذّب   وحتّام أبقى في العذاب وأمكث

فخذ مرة روحي تُرضي ولم أكن   أموت مرارًا في النهار وأبعث

وإني لهذا الضيم منك لحاملٌ   ومنتظر لطفًا من الله يحدث(٤٢)

واتباع الحق سمةٌ إسلامية يعتز بها الشاعر ويفتخر، لأن الحق أبيض أبلج. وقوله:

وحسبي أني أتبع الحقَّ في الهوى   ولا شكّ أن الحقَّ أبيضُ أبلجُ(٤٣)

وقوله:

الحق أبيض أبلجٌ   والحق أولى ما اتّبع(٤٤)

ولعل الشاعر في تمثله لهذه الأخلاق، والقيم الفاضلة، يلتزم بالإسلام وتصوراته، لأن الأدب الإسلامي (التزام بالإسلام وقيمه، وتصوراته، وتقيد بمبادئه، ومثله، وغاياته) (٤٥).

والوفاء بالعهد والوعد ديدنُ الشاعر في حياته، فينكر أنه ما خان عهدًا، أو نكث وعدًا، فكل ميثاق يقطعه على نفسه، يلتزم به ولا يتحول عنه:

ما حُلْت عن عهدٍ ولا خُنتُ فــــــي   وُدِّي وما قَصّرتُ من جُهــــــدي(٤٦)

وتشير الروايات التاريخية إلى: (صفة الوفاء التي تحلى بها الشاعر من خلال ثباته مع الملك الصالح نجم الدين، وعدم غدره بالفرار مع أقرب الناس إلى الملك، وأخباره، وحاشيته، فقد بقي يحارب مع الملك، وكان من الذين صمدوا مع ثمانين من المماليك وبعض الأمراء) (٤٧). وإذا كان الشاعر ملتزمًا بهذه الصفة ويرتضيها لنفسه مبدأ ونهج حياة، فإنه يثني على قوم تحلوا بها:

إنِّي لأعرفُ منكـــــــــــــــــمُ   يا سادتي حُسن الوفـــــــــــاء(٤٨)

وينفي الشاعر عن نفسه نفيًا قاطعًا ارتضاءه يومًا بالخيانة، لإيمانه بالله تعالى:

على أنني لم أرضَ يومًا خيانـــــــةً   وهيهات لي والله عن ذاك حاجــزُ(٤٩)

وينعي على صاحبه امتثاله للخيانة بعد عهود جرت بينهما، مرتضيًا تلك العقوبة العاجلة من الناس الذين يلمزونه، ويعيّرونه بالخيانة:

غدرتَ في بُعد عهودٍ جــــــــرتْ   يكفيك قولُ الناس يا غـــــــادِرُ(٥٠)

هكذا هو الفن الأدبي، له رسالة يسمو بها، يطهِّر من خلالها النفوس من الأدران، وما ران عليها من الأمراض الأخلاقية فالأخلاق مجال فسيح للأدب، يجول فيه مفتشًا عن الفضائل، باعثًا لها، وباحثًا عن الرذائل، معالجًا لها، فالأدب ذو صلة قوية، ورابطة وثيقة بالأخلاق (٥١).

ويذّم الشاعر صديقًا له ارتضى الغدر منهجًا له، وأراد تحويله، والرِّضا عن الوفاء بالعهد بالغدر، فراح يزجره قائلاً: إليك عني، ويتضجر منه بقوله: "أفٍّ" ويدعو عليه:

إليكَ عَنِّي وَدَعنِـــي   الغدرُ لا أَرتَضيـــهِ
أردت تغيير خُلْقـــي   أُفٍّ لما سُمْتِنيـــهِ
فلا جزى الله خيـــرًا   يومًا عرفناك فيـــه(٥٢)

ويستخدم الشاعر كلمة "أفٍّ" التي وردت في القرآن الكريم: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا ﴾ (٥٣). ويؤكد الشاعر أن الوفاء صفة لازمة منه لمن يحفظ الود، ولو كان في وفائه وفاته:

لستُ أرضَى سِوى الوَفاءِ لذي الـــو   دّ ولو كان في وفائي وفاتـــي(٥٤)

ويشكو الشاعر قلة الأصدقاء الثقات، فلم يجد صديقًا، أو صاحبًا على قاعدة المحبة في الله، فأكثر الناس سعادة من لا يعرف الآخرين، لأنه جرّب الصّداقة معهم، فغدروا، وخانوا، وبنوا تلك الصَّداقة على أساس المصلحة الخاصة، والشاعر أسَّس علاقاته وصحبته على مبدأ الصحبة في الله تعالى:

قلَّ الثّقاتُ فَلاَ تَركَن إلى أَحدٍ فَأسعَدُ النَّاسِ مَن لا يَعرِفُ النّاسا
لم ألقَ لِي صَاحِبًا في الله أصحبُهُ وقد رأيتُ وقد جرَّبتُ أجناسا(٥٤)

وأما نفس الشاعر فعزيزة أبية، تتسجم والخلق القرآني: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (٥٦).

وترنو نفس الشاعر إلى السؤدد، والمعالي، ولا ترتضي السقطات، أو الدّنايا، وأجمل ما تمتلكه بفضل الله وقدرته السيف والمصحف:

وَنَفسِي بِحمدِ اللِه نفسٌ أبيّةٌ فهـا هـي لا تهفُـو ولا تَتَلَهَّـفُ
وَأَشرَفُ مَا تَبنِيهِ مَجدٌ وَسُؤددٌ وَأَزيَنُ ما تَقتنيه سَيفٌ ومصَحفُ(٥٧)

وقوله:

على أنَّ لِي نَفسًا عليّ عَزِيَزةً وفي النَّاسِ عُشّاقٌ بِغَيرِ نُفُوسِ(٥٨)

إنه التزام صريح لا لبس فيه، ولا غموض، بمبادئ الدين الإسلامي، وأخلاقه الرفيعة، ومثله العليا، فالمسلم يصون نفسه من المهانة والذلة، ويحافظ على ديمومتها عزيزة عالية الجانب، إنه تمثّل للروح الإسلامية من الشاعر (فالتزام الأديب الإسلامي ينبع من أعماق نفسه، ويعدُّ مقوّمًا من مقومات وجوده)(٥٩).

لقد جسَّد الشاعر في هذه الأبيات عزّة النفس، والأنفة، والترفع عمّا يرتضيه الآخرون من الصغار والذّلة، وهذا خلق إسلامي لأن الإسلام نهى عن الخنوع

والاستخذاء من أجل العرض الزائل، ذاك لآن عزّة النفس، والترفع عن مواطن التذلّل، وصيانة ماء الوجه، يمنحان المسلم مقومات الكرامة، وحرّية الرأي، والثبات أمام الأهواء والنزوات، وهي قيم يسعى لتحقيقها، وكثيرًا ما ينزلق عنها ذوو النفوس الضعيفة (٦٠).

وما من شك في التزام الشاعر بالقيم الإسلامية، والمبادئ الأخلاقية السامية، فقوله يُطابق فعله، وهو بهذا يتمثل لقوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٦١)، فحياؤه كفيل بإحداث هذا الخلق الرفيع، ومنعه من أن يخلف موعدًا لأن (الأدب الإسلامي الصحيح، جزء لا يتجزأ من الواقع، وحركة الحياة، والعمل المتواصل) (٦٢)، وهو صادق فيما يقول، ويرتسم فوق جبينه نور الصدق:

إذا قُلتُ قَولاً كُنتُ للقولِ فَاعِلاً وكانَ حَيَائي كافِلي وَضمِينِي
تبشر عني بالوفاء بشاشتي وينطق نور الصدق فوق جبيني(٦٣)

ويذكر الشاعر أن لغرامه خصوصيةً ومذهبًا لا يحيد فيها عن أخلاقه السامية (وله مذهب في الغرام جعله في الألفة، والوفاء، والعفّة، والغيرة، والتجمّل بمكارم الأخلاق) (٦٤)، وقد ذكر الشاعر هذا المذهب حينما قال:

فَمذهَبِي في الغَرَامِ مَذهَبُ حَقٍّ وَلَقَد قُمتُ فِيهِ بِالبَيِّناتِ(٦٥)

وله أبيات أخرى مبيّنًا منهجه في الحبِّ، المنهج المتأثر بالنزعة الدينية:

أَنَا فِي الحُبِّ أَلطَفُ النَّاسِ مَعنَى دَمِثُ الخُلقِ، ذو حَوَاشٍ رِقَاق

أَعشَقُ الحُسنَ والملاحةَ والظَّر   فَ، وَأهوَى مَحَاسِنَ الأَخلاَق
لَم أَخُنْ في الوِدَادِ قطّ حَبِيبًا   فَيُنَادَى عَلَيّ فِي الأَسوَاق(٦٦)

ويرى إحسان عباس أن ثمة علاقة بين الحب، والأخلاق، على نحو من الإيمان بالعفاف عند المقدرة، وأنه سمة خلقية ملازمة للفتوة، تلك الفتوة النابعة أيضًا من النظرة الدينية (٦٧)، وهكذا كان الشاعر متمثلاً للغة القرآن التي وظفها توظيفًا بارعًا في أسلوبه، وصياغاته، ومفرداته اللغوية، واستحالت إلى سلوك يومي ترسّخت قناعات في فكره، ووجدانه، ومعاملاته على صعيد الواقع الحياتي المعاش، وفي حديثه عن الروابط مع المحبوبة، ونفيه عمّا يُنسب إليه من اتهامات الوشاة، والعذَّال، يرى أنَّ ما رُمي به من تقصير بحق محبوبته إنما هي محض أقاويل، وافتراءات لا أساس لها، ولا تتعدى الظنون، وهذه الرؤية التي ينطلق منها الشاعر تؤكد مرة أخرى مدى إيمانه العميق بالخُلُق النابع من القرآن الكريم، والمتمثل بعدم الظنِّ بالآخرين، لما ينجم عنه من آثام وخطايا:

لا وحقِّ اللَّهِ مَا ظَنّ   كَ فِي حَقِّي حَلالا
إِنَّ بَعضَ الظَّنِّ إِثْ   مٌ صَدَقَ الله تَعَالى(٦٨)

ومما يلفت نظر الباحث في شعر بهاء الدين زهير: تلك المواعظ الموجهة إلى السائر في غيِّه وضلاله، وهي نصائح تنبع من صميم الإسلام، وفيها دعوة إلى تطهير النفس البشرية مما علق بها من ذنوب، وآثام، وخطايا، وتبصير لها بحقيقة الوجود، وتنوير إلى موقع الإنسان في هذه الدُّنيا الفانية، والحياة الآخرة الباقية، وهي دعوة إصلاحية يحمل لواءها ليصلح نفسه، ويصلح الآخر، ويبتدئ الشاعر قصيدته المعنونة "دنياك جيفة" بخطاب النفس الشريفة، والتأكيد على

مفهوم الحياة من الرؤية الدينية الخالصة، بأنها "جيفة" بكل ما تحمله هذه اللفظة من دلالات، ومعان منفرة، ولهذا فإن تعلّق الجوارح بها يعني انخراطها في مستنقع أسنٍ، ملئ بالكراهية والاشمئزاز، وإذا كانت الدنيا تمثِّل هذه اللوحة القاتمة، وصورة سوداوية، فما على النفس إلا أن تقنع بالقليل، ومن يبتغ غير القناعة سبيلاً فإن في عقله لوثة:

أَيُّهَا النَّفسُ الشَّرِيفَةُ   إِنَّمَا دُنيَاكِ جِيفَه
لا أَرَى جَارِحَةً، قَد   مُلِئَت مِنهَا نَظِيفَه
فاقنَعِي بالبُلْغَةِ النّزّ   رةِ منها والطَّفِيفَه
وعُقُولُ النَّاسِ في رغ   بَتِهِم فيها سَخِيفَه(٦٩)

ويتوِّج الشاعر فلسفته الدينية هذه بالتأكيد على أن الإنسان السعيد يجعل حمله في الحياة خفيفًا:

آهِ مَا أَسعَدَ مَن كَا   رَته فيها خَفِيفَه(٧٠)

ويتتبع الشاعر ملامح جزئيات صورة الحياة من الرؤية الدينية بصورة متكاملة من خلال النِّداء المتكرّر "أيّها" لمن تنكَّب طريق الرشد وانحرف عن جادة الصواب وهو نداء متأثر بأسلوب التنزيل: يا أيها الإنسان، ويا أيها الكافرون، وتتكشف تلك الصورة من خلال نعوته المختلفة لذلك الإنسان وهي صفات تنبع من صميم القرآن الكريم، وفيها دعوة إلى أن يترفق الظالم بنفسه، والمسرف أن ينأى عن التعلّق بمتاع الدُّنيا الزائل، وإلى الغافل أن يتفحّص حقيقته وجوده، والمغرور أن يستيقظ من سُباته في أحلام السعادة الضائعة:

أيُّهَا الظَّالِمُ ما تَر   فِق بالنَّفسِ الضَّعِيفَه
أيُّهَا المُسرِفُ أَكثَر   تَ أَبارِيزَ الوَظِيفَه
أيُّهَا الغَافِلُ مَا تُب   صِرُ عُنوَانَ الصَّحِيفَه
أيُّهَا المَغرُورُ لا تَف   رَح بِتَوسِيعِ القَطِيفَه(٧١)

وفي ختام قصيدته ينبّه الشاعر إلى الحقيقة الأزلية التي لا مفر منها، وهي سلاح بيد الشعراء للدعوة إلى الزهد، والقناعة توظف في مواقع النصح والزهد، فكل من على البسيطة سيتذوق طعمها، وعندها سينسى دنياه السخيفة، إنه الموت هادم اللذات، وقاهر كل شئ، وما عليك أيها المسكين إلا أن تعد نفسك للآخرة، وتحصل الزاد ليوم البعث والحساب.

أَيُّهَا المِسكِينُ هَب إِنَّ   كَ فِي الدُّنيَا خَلِيفَه
هَل يَرُدُّ المَوتُ سُلطَا   نَكَ وَالدُّنيَا الكَثِيفَه
تَترُكُ الكُلَّ وَلاَ تَم   لُك بَعدَ المَوتِ صُوفَه
كَيفَ لا تَهتَمَّ بِالعِدّ   ةِ وَالطُّرقُ مُخِيفَه
حَصِّلِ الزَّادَ وَإِلا   لَيسَ بَعدَ اليَومِ كُوفَه(٧٢)

ومما سبق: تتضح أخلاق الشاعر من خلال هذه المواعظ والإرشادات، ولعله يخاطب نفسه المقصّرة، بأن تتوجه إلى الله تعالى، وتزهد بما في الدنيا من المتاع الزائل، وأن توطّن حالها على القناعة بالقليل، والتزوّد ليوم الرحيل.

وهكذا يتعّمق أثر الإسلام ويتغلغل في كيان الشاعر، وضميره، من خلال هذا الالتزام الصادق الواعي بالمثُلُ الأخلاقية، والقيم الدينية، التي شكّلت القاعدة المحورية، التي انطلق منها الشاعر، وراح يتَسلّح بهذه المبادئ السامية، لتكون منارة يهتدي بها في ظلمات الحياة، وبحارها المتلاطمة الأمواج، فكان يتخذ من الصبّر على أذى الآخرين طريقًا يسلك محطّاته أملاً في اكتساب اللطف من الله، وتفريج الكُرَبِ والشّدائد، ومنهج الحقِّ واتباع سبيله، كان الزاد الذي من نوره يقطف الشاعر ثمار الحياة عونًا له في معترك الحياة، وعزّة النفس وكرامتها، والصِّدق، والوفاء، والصحبة في الله، واختيار الأصدقاء، على أُسس التقوى كانت عناوين بارزة ومضيئة، ترفرف في كيانه، ومشاعره، ووجدانه، وعلى العموم كان بهاء الدين زهير دَمِث الأخلاق، وقورًا طاهر اللسان والألفاظ، ومن هنا كان شعرُه ترجمةً لخلقه الكريم، الخلق النابع من القرآن الكريم، ولعلّ تشكيلاته اللغوية تنضاف إلى خلقه الرفيع، لتكتمل صورة هذا الشاعر بأبعادها الثقافية، والأخلاقية، والاجتماعية، فتترسّخ في الوجدان تلك الصورة الجميلة لشاعرنا الكريم، وسيلحظ الباحث تلك الصورة في التشكيل اللغوي، وقاموسه العربي، المستمدّ من المفردات القرآنية، وتراكيبه المختلفة.

المحور الثالث: التوبة والاستغفار

مهما ارتقى العبد المؤمن في درجات الإيمان والتقوى، فإنه يظلّ مقصِّرًا في أداء الواجب الموكول إليه عن بلوغ الكمال، وفي كلّ الأحوال: فإنه يعود إلى ذاته، محاسبًا نفسه بما فرّطت بحقّ الله، ويظهر الصِّراع الداخلي حينما يستيقظ ضميره الحيّ، ويقيم حوارًا صامتًا في كينونته، فيتألّم ويحزن، ولرُبّما يندفع إلى تأنيب الضمير، والإحساس بالخطأ والذّنب، فيبحث عن سبيلٍ من خلاله يُطهِّر

النفس مما علق بها من الآثام والأخطاء، فما من طريق سوى الإياب إلى الله غافر الذّنب، وقابل التوبة، فيتوجَّه إلى العزيز الغفَّار، تائبًا مستغفرًا طمعًا في رحمته، وعدله، وعفوه، والشاعر بهاء الدين زهير حينما أحسّ بالتقصير آب إلى بارئه، معلنًا توبته بما ارتكبت نفسه من المعاصي، مستغفرًا ربّه بما جنَتْ يداه، والله – ﷻ – يبسط يديه بالليل ليتوب إليه مسيء النهار، ويبسط يديه بالنهار ليتوب إليه مسيء الليل، وإنّ التوبة، وطلب المغفرة سِمَةُ إيمانية تميِّز العبد المؤمن عن غيره، وخيرُ الخطّائين التوّابون، ويتوجّه الشاعر إلى الله كلما حزبه أمرٌ شديد فيدعوه إلى أن يفرِّج كربته، ويخفف عنه المصاب، وما يعانيه، لقناعته أن الله قريبٌ يجيب دعاء المضطر إذا دعاه، لقوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ (٧٣)، ويطلب الشاعر ممن يخاف أمرًا أن يلتجأ إلى الله ويحتمي به، لأنه سميع مجيب، ولن يرد سائلاً مخيِّبًا رجاءه، فمن كان الله ناصره فلا يجوز الطلب من غيره ليرعاه ويحميه:

أيُها الخائفُ منْ أمـ ـرٍ عَنَاه وعساه
لك ربٌ لمْ يخبْ قـ ـطَّ لديه من رجاه
فادعُهُ فهو بلا شـ ـكٍّ مجيبٌ من دعاه
وإذا كان لك اللـ ـهُ فلا تسأل سواه(٧٤)

ومما لا شك فيه أن إقرار العبد بذنوبه بين يدي الله، وطلب المغفرة منه، وإعلان التوبة يعد بُعدًا إيمانيًا وإسلاميًا (فمفهوم التوبة في الإسلام خلق إسلامي، يقترن بصفات المتقين) (٧٥).

وكما تشير الآية الكريمة: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ (٧٦). ويرجو الشاعر من الله تعالى أن يغفر له ذنوبه، ويصفح عنه، طمعًا في كرمه، وحلمه، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ (٧٧)، ويعترف بإساءته وذنوبه، ضارعًا إلى العلي القدير أن يحلم به ويترفق، معترفًا بالنعم الكثيرة التي أسبغها عليه:

يا ربَ قدْ أصبَحــتُ أرْ   جُــوكَ وَأَرجُــو كَرَمَــكْ

يا ربِّ ما أكثَرَ مــا   كثّــرتَ عنــدي نعمــكْ

يا ربِّ عن إساءتــي   يــا ســيِّدي مــا أحْلَمَــكْ(٧٨)

ويعترف الشاعر بذنوبه وسيئاته، متحسرًا على تلك الأفعال والخطايا، (والتحسر صورة من صور التوبة، بل هو شرط من شروطها(٧٩)، وإن التمادي في الغيِّ والضلال لا طائل منه، فقد حان وقت التنبُّه، واليقظة من الانجرار وراء مغريات الدنيا، ونعيمها الزائل، فالأيام تمضي سريعًا، وتُطوى، والإنسان غافل يضيع عمره في اللهو، وما هو بالخير فائز، ويتحسّر الشاعر على الحالة التي آل إليها من سوء مصيره وحاله، فما قام به لا يقدم عليه عاقل، ولكنه يطمع بكرم الله ورحمته ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ ﴾ (٨٠)، ويرتجي منه المغفرة، فلا يُرَدُّ سائل يقف ببابه:

تأبى وَإِلَى مَتَى التَّمَادي   قد آن بأن يُفيقَ غافِلْ
ما أعظَمَ حَسْرَتي لعُمْرٍ   قَدْ ضَاعَ وَلَمْ أَفُزْ بطَائلْ
قَدْ عزَ عليَّ سُوءُ حالي   ما يفعلُ ما فَعَلْتُ عَاقلْ
ما أعْلَمُ ما يكونُ منِّي   والأَمْرُ كمَا علمتَ هائلْ
يا ربِّ وأنت بي رحيمٌ   قَدْ جئْتُكَ رَاجيًا وآملْ
حاشاك أنْ ترُدّ ضعيفا   قَدْ أَصبَحَ في ذَرَاكَ نَازلْ
يا أكرَمَ مَنْ رَجَاهُ رَاجِ   عَنْ بَابكَ لا يُرَد سائلْ(٨١)

لعل الشاعر يُدرك أنه سار في طريق الغواية من خلال قوله: "ما يفعل ما فعلت عاقل، وحينما آب إلى الله أدرك مدى قصوره عن إيجاد علاقة متوازنة بين الجانبين المادي والروحي في كينونته، فراح يوازن بين متطلبات كلا الجانبين: ومستحقاتهما، فازداد تعلقًا بربه، طمعًا في المغفرة ومن هنا (فإن الإسلام يعرض الصورة الإنسانية من جميع جوانبها، المادية والمعنوية، ويصورها بكل قيمها الاقتصادية، والاجتماعية، والفكرية، والروحية، ممتزجة، متداخلة، مؤثرًا بعضها في بعض، مع الاتكاء على الجانب الروحي، محاولة إبرازه والإشادة به، لأنه هو العنصر الذي من أجله صار الإنسان إنسانًا...)(٨٢).

وهكذا يستشعر المرء وهو يطالع هذه الأبيات، أن الشاعر يعيش صراعًا بين مكوناته الطبيعية المادية منها، والروحية، وتتعاظم المأساة والألم حينما يرى نفسه تغرق في وحل المعاصي والآثام، ويشتعل الرأس شيبًا ليكون نذيرًا بقرب

الأجل، عندها يشعر بالضعف، ولا يجد أمامه إلا التوبة، وطلب المغفرة (ولا تخفٌّ عنه هذه المعاناة إلا بالأوبة إلى ربه، والتوبة من ذنبه)(٨٣) والطمع في مغفرته وجنته ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾ (٨٤).

ويلحّ الشاعر من خلال تكرار صيغة الدُّعاء ثلاث مرات "يا ربّ" بأن يجعل الله له من كل ضيقٍ مخرجًا، ومن كل كربة فرجًا، فقد أدلهم الأمر، وتعاظمت الخطوب، وكثرت ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾ (٨٥) وكثرت الهموم فلا رجاء إلا الله، ولا ملجأ إلا إليه:

يا ربّ ما أقربَ منْكَ الْفَرَجَا أنـت الرّجـاءُ وإليـك الملتجـأ
يا ربّ أَشْكُو لَكَ أَمْرًا مُزْعجًا أَبْهَـمَ لَيْـلُ الْخَطْـب فيـه وَدَجَـا
يا ربّ فاجْعَلْ لي منْه مَخْرَجـا(٨٦)

ويتبرم الشاعر من أعباء الدُّنيا، ومشاكلها، ومصائبها، فكلما زال خطبٌ، جاء آخر يتحدى الصبر فينقص معها وتزيد، فتتراكم الخطوب ولا حياة في ظلالها حميدة أو سعيدة، متوجّهًا إلى الله بالدعاء ليخفّف تلك الآلام فليس أحدٌ يستحقٌّ بالتوجه إليه بالشكوى سوى الله:

كُلَمَا قُلْتُ اسْتَرَحْنَـــا جَاءَنَـــا شُـــغْلٌ جَديـــدُ

وَخُطُوبٌ ينقُصُ الصَبْـ   ـرُ عليها وتزيدُ
تَعبٌ لا حَمْدَ فيـه   لا ولا عَـيْشٌ حَميدُ
إنَّ هَذَا عَلَمَ اللـ   ـهُ هو الغَبْنُ الشديدُ
وَأَرَى الشكْوَى لغيْر اللـ   ـهِ شيءٌ لا يُفيد(٨٧)

ولما كان الشاعر يكتم صبابته ولهوه، فإنه يعترف أن ما يخبئه في وجدانه ومشاعره، لا يعلم به أحد سوى الله، ومن هنا: يتوجه إليه بالرجاء ليعفوَ عن عبده التائب، العائد إلى طريق الرُّشد والهداية:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾ (٨٨).

وَلَكَمْ كَتَمْتُ صَبَابَتي   واللّـهُ عـلاّمُ الغُيوبِ
وَرَجَوْتُ حُسْنَ الْعَفْو منـ   ـهُ فهو للعَبْدِ الْمُنيْب(٨٩)

ويدعو الشاعر ربّه: أن يتقبّل توبته بعد أن سلك دروب المعاصي من شرب الخمر، وصحبة النَّدامى، والشاربين، فإذا به يكسر الدنَّ، ويعصي النديم، ويقف بباب الكريم، طالباً العفو والمغفرة:

ولقد صحوت وتُبت عـن   خمر الهوى وكسرت دنِّي
ونفضتُ في وجه النديـ   ـم وقد أتى بالكأس رُدني
ووقفت في باب الكريـ   ـم عساه يسمح لي بإذن(٩٠)

وقوله:

رجوتُ كريمًا قد وثقتُ بصنعه   وما كان من يرجو الكريم يخيب
فيا من يحبُّ العفوَ إنّي مُذنبٌ   ولا عفو إلا أن تكون ذنوب(٩١)

ولعل الشاعر في توجهه إلى الله ﷻ بالتوبة، والمغفرة، والتصريح المباشر بأفعاله، إنما يتجه اتجاهًا واقعيًا في التعبير عن حالته، وأزمته الداخلية، واستشعاره بالذنب، وإن هذه الرؤية أصدقُ تجليات الصدق الفني في التعبير عن التجربة الحياتية المعاشة، وهذه إحدى سمات الأدب الإسلامي (الذي يأخذ من معاني الواقعية أفضلها، وهو الذي يعني بنقل أحاسيس الصدق في أعماق النفس الإنسانية، دون ميل على الشك في الإنسان، وعدم الاعتراف إلا بنواحي الشرِّ فيه، فالصدق الفني هو نقل الواقع بكل أنباضه المختلفة) (٩٢).

ويقرر الشاعر أنه آب إلى الله ورجع، وكفَّ عن مسالك الجهل، وصار في درب السكينة والخشوع، زاهدًا بعيدًا عن نديم الخمر، لأنه وجد في الشيب رادعًا له ومانعًا:

ثم ارعويت وصرت في   جدِّ السكينة والخشوع
فإليك عني يا نديـ   ـمُ فما صنيعك من صنيعي
أَتُريد بعد الشيب مـ   ـنِّي صبوةَ الناشِي الخليع(٩٣)

ويقارن الشاعر نفسه بنديمه قائلا؛ لن أسمع أو أطيع دعواتك لي باستمراري في طريق الضلالة، فإذا كنت أنت قد أزمعت الرجوع إلى كؤوس الخمر والغواية، فكن يائسًا من رجوعي، ويوِّجه الشاعر إلى صاحبه اللوم والزجر:

لا لا وحقِّ الله مـا   أنا بالسميع ولا المطيع
إن كنت ترجعُ أنت بعـ   ـد الشيب فيأس من رجوعي
كَيْفَ الرجُوعُ وَقَدْ رَأَيْـ   ـتُ الريحَ تلعبُ بالزروعِ(٩٤)

ويوبخ الشاعر صديقه وربما نفسه، من خلال وصف الرجوع إلى الخمر بالعار، لاسيما أنه غدا في حمى الله، وحرزه المنيع، ومن هنا يقرِّر الشاعر أن صاحبه لم يلتزم بالتوبة الصادقة، وإن سجد وركع، وعلى الإنسان أن يحسب كل شئ قبل الإقبال على التوبة، وقبل الشروع فيها:

عارٌ رُجُوعُك بعد مـا   عاينْتَ حيْطَانَ الرّبُوع
وَحَلَلْتَ في ظل الجنا   ب الرّحب والخير المنيع
واعلم أُخيّ بأنّـه   لا بالسجود ولا الركوع
احسب حسابك في الـ   ـذي تنويه قبل الشروع(٩٥)

ولا يكتفي الشاعر بالدّعاء لنفسه، والاستغفار من الذنوب، والتضرّع إلى الله بقبول توبته فحسب، بل تجاوز ذلك إلى التوسّل لله، بأن يشفع لمحبوبته، ويهديها إلى سبل الرّشاد، والتُّقى، والعفاف، وأن ييسِّر لها طريق التوبة والتعجيل بها، كما يتوجه إلى الله بأن يغسل ذنوبها بماء التقوى والهداية، وألا يُعذِّبها، طمعًا بلطفهِ وغفرانهِ، وكرمهِ، ورحمتهِ، فالله المُرتجى، وإليه الملتجأ:

يا ربِّ عجِّل لها بتوبتـها   واغسل بماء التُّقى خطاياها

إن تكُ يا سيِّدي معذبها   من ذا الذي يُرتجى لرُحماها
فالطف بها واغتفر لها كرمًا   إنك خلاّقها ومولاها(٩٦)

ولعل الشاعر يُدرك أنّ التّوبة ينبغي أن: تتوافر فيها المصداقية، والعمل بشروطها، فليست التوبة قولاً ومخالفةً في العمل أو رياءً، أو توبة إفلاس وفقر:

قالوا فلانٌ قد غدا تائبًا   واليوم قد صلّى مع الناس
قلت متى ذاك وأنىّ له   وكيف ينسى لذّة الكأس
أمس بهذه العين أبصرته   سكران بين الورد والآس
ورحتُ عن توبته سائلاً   وجدتها توبة إفلاس(٩٧)

ومن هنا يظهر حرص الشاعر على العناية بتحقيق التوجه إلى الله بمصداقية عالية، وعمل شريف، لا تشوبه شائبة أو تكدير، وهو بهذه الرؤية يعبر عن نزعة دينية مستوحاة من القرآن الكريم، وفيها إدانة للسلوك المنفصم، كما يصدر عن حسٍ وأدبٍ إسلامي الذي (يعبِّر عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية الحية الدافقة، ويدعو إلى إيقاظ نوازع الخير، والطهر، والجمال، التي جاء بها الإسلام) (٩٨).

وهكذا فإن الشاعر بهاء الدين زهير قدّم نموذجًا في التوبة والاستغفار من خلال النّدم والحسرة، فكان بهذا السلوك يصدر عن خلق رفيع، وأدبٍ إسلامي (وإن أشعار هذه الطائفة من الشعراء تحمل مدلولاً كبيرًا وعبرة جليلة، فهي تقرع في آذاننا أجراس الندم والحسرة، حيث لات ساعة مندم، وهي تزجرنا عن

سلوكهم الذي ندموا عليه ... ولم يأخذهم الكبر في النّدم على ما أسلفوا من عمل سيئ ... فأنابوا إلى الله، رجاء التوبة والمغفرة، وصدروا عن خلق إسلامي وأدب رفيع(٩٩).

المحور الرابع: التشكيل اللغوي

يلفت انتباه الباحث كثرة المفردات، والتراكيب اللغوية في ديوان الشاعر، التي تأثر فيها بالقرآن الكريم، سواء أكانت من مصادر عقائدية، أم قصصية، أم عبادات، فها هو يمدح الأمير المعظم مجد الدين بن إسماعيل اللمطي، ويهنِّئه بحلول رمضان سنة ٦٠٩هـ، ويرى الشاعر أن قدر الممدوح، ومكانته عظيمة كعظمة ليلة القدر التي تعدل عند الله ألف شهر، يقول:

وَافَاك شَهرُ الصّوم يا من قدرُهُ   فينا كليلةِ قدره لن يُجحَدا

وَبقيتَ حَيّاً أَلفَ عَامٍ مِثلَه   مُتَضَاعِفًا لَكَ أجرُه مُتَعَدَّدَا

والدّهرُ عندك كلُّهُ رَمَضَانُ   يَا مَن لَيسَ يَبرَحُ صَائِمًا مُتَهَجِّدَا(١٠٠)

ففي هذه الأبيات تأثرٌ واضح بسورة القدر ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ① وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ② لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ (١٠١). فالشاعر يمدح بما يتوافق مع الفهم الديني لأجر ليلة القدر، ويقرن بين عظمة هذه الليلة، وعظمة الممدوح، فهو منقطع في عبادته، وصومه، وتهجده، وهنا تظهر النزعة العقدية التي يعتنقها البهاء زهير، وذلك في تقديس الإمام، ورفع مكانته إلى درجة التأليه، فجعل الإمام واحدًا قهارًا، أي انه اكتسب هذه الصفات الإلهية وراثة، لذلك فان مكانته تسمو وتعلو.

وثمة إشارة إلى النبي سليمان بن داوود – عليهما السلام – الذي عُلّم منطق الطير، في معرض محاورةٍ فلسفية بين الشاعر، وجاهل يزعم معرفةً وعلمًا، فيكفر بالرحمن من خلال المسائل العقلية التي يدّعيها (ولعل ما يدفع هذا الإنسان نحو اقتلاع الفساد هو: إيمانه بالقيم الروحية التي تسير نحو الخلود، وبها يبلغ الإنسان أعلى مراتب الإنسانية) (١٠٢)، وتنتهي تلك المحاورة باستعلاء ذلك الجاهل، وادعائه أنه يسرد كلامًا لا يفهمه الشاعر، فرد عليه الشاعر بأنني لست سليمان بن داوود الذي عُلِّم منطق الطير. ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ﴾ (١٠٣).

وَجاهل يدَّعي في العلم فلسفةً   قد راحَ يَكفُرُ بالرحمن تقليدًا

وقالَ أعرفُ معقولاً فقلتُ لهُ   عنيت نفسك معقولاً ومعقودًا

من أين أنت وهذا الشيء تذكره   أراك تقرع باباً عنك مسدودًا

فقال إن كلامي لستَ تفهمه   فقلت لست سليمان بن داودا(١٠٤)

وفي أهاجيه لمن يدّعي العلم وغيره كان يصدر عن روح إسلامية، (ومن أجل ذلك هجا البارد الثقيل من الناس، وكره أن يلزمه – على الرغم منه – جاهل محتال، أو منافق كذوب، أو جليس أحمق، أو محدث ثرثار، أو زائر غبي، أو رقيب عذول، أو مدع للعلم وهو جهول، أو صاحب خؤون، أو مغتاب حقود) (١٠٥). ويؤكد الشاعر أن الشيب سنَّ شريعةً ينسخ من خلاله أحكام الصَّبابة، والشباب، واللهو، وجاء ليبطلها جميعًا، وفي البيت الآتي: يخاطب الشاعر أصدقاءه الذين ما زالوا في ملاعب الصبا والهوى، ولمّا يتعظوا من الإنذار الذي اشتعل في رؤوسهم، وهو الشيب الذي يدق ناقوس الخطر، وقرب

الأجل، ومن خلال هذه الثنائية :الشيب، والصبابة والصبا، يحاول الشاعر الإعلاء من نفسه، والسمو بها عن الصغائر، وذلك بتنصيب حاله واعظًا أو مرشدًا، يعتبر من تقلبات الزمان وتصرفاته، فيدعو الآخرين إلى التوقف عن اللهو، والانغماس في حياة الترف، والحب، والهوى، ولتحقيق هذا التوجه يقدّم الشاعر صورة الشيب متأثرًا فيها بالإسلام، فالشيب يطمس أيام اللهو والشباب، ويحدّ من العنفوان والحيوية والنشاط، فهو بهذه الصورة يشبه حال الآيات القرآنية التي جاءت لتبطل حكمًا ورد في آيات سابقة، يقول الشاعر:

أَأحبابَنَا إن المشيبَ لشارعٌ   لينسخَ أحكامَ الصبابة والصِّبا(١٠٦)

فالقاسم المشترك بين المشبه (الشيب) والمشبه به (الآيات الناسخة) هو إزالة حكم القديم، وإثبات حكم جديد، "وهذا تأثر واضح بقوله تعالى. ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ " (١٠٧). يقول ويشير الشاعر إلى قصة قوم موسى عليه السلام حينما تاهوا في الصحراء، وجعل الشاعر المصاب الذي ألم به من فراق محبوبته، مشابها لحالة التيه التي كان عليها قوم موسى عليه السلام، فقرن الشاعر حال العذاب والفراق التي يعانيها بصورة قوم موسى عليه السلام، وهو في تيه إلى أن هداه الله، وهنا ينبغي ملاحظة أن: الشاعر لا يتورع من أن يقرن نفسه بالرموز الدينية المقدسة، ذلك أن لديه الجرأة في وضع منزلته في منزلة القداسة، وهنا لا مندوحة من القول: أن التيه الذي أصاب موسى عليه السلام وقومه، هو غضب من الله على قومه، والتيه الذي أصاب الشاعر هو بسبب محبوبته، وليس غضبًا من الله، فغالبًا ما وصف الشعراء بأن ألم الحب الذي يصيب العاشق هو لذة تصيب الشاعر، على ما فيها من عناء.

فليتَ عينَ حبيبي في البعاد ترى   حالي وما بي من ضرٍّ أقاسيه
هل كنتَ من قوم موسى في محبَّته   حتى أطالَ عَذابي منه بالتيه(١٠٨)

وينعي الشاعر على صاحبه عدم رد السلام عليه حينما دخل بيته، كأن صاحبه ذو جنابة، والشاعر مقدس كسورة الإخلاص، ويعاتب الشاعر صديقه بطريقة طريفة، ذلك أن لومه لهذا الصديق يتمثل في أنه عَبَرَ ولم يسلّم عليه باعتباره كائنًا مهمّشًا، والطرافة في الصورة أنه استغل هذا الموقف ليعطي صورة مشابهة من العقيدة الإسلامية التي تنص على أن الجنب يحرم عليه مسّ القرآن، فصوّر الشاعر نفسه بصورة الإخلاص، وصوّر صديقه بالشخص الذي أصابته جنابة، فاجتمع الضدّان.

ومن الملاحظ على الشاعر أنه تخير سورة الإخلاص، ولم يستبدلها بسورة أخرى، وذلك لقصرها، وعظمة أجر قراءتها، فكأنها رسالة ضمنية إلى صديقه، لأنه لم تكن لتتأخر لو وقفت وألقيت السلام وحظيت بالأجر.

رأيتُكَ قد عبرتَ ولم تسلّم   كأنك قد عَبَرتَ عَلَى خَرَابه
وكنتُ كسورةِ الإخلاص لمّا   عبرتَ وكنتَ أنتَ كَذي جَنَابَه(١٠٩)

ولا يدري الشاعر بأيِّ أرض يموت، وهذا مقتبس من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ ﴾ (١١٠).

ليت شعري ليت شعري   أيُّ أرضٍ هي قبري(١١١)

وحينما يطأ الشاعر تراب محبوبته يمشي متأدِّبًا خاشعًا، كأنه يمشي بالواد المقدس، والشاعر يعيدنا إلى قصة موسى عليه السلام، وهنا نلاحظ أنه يتجاوز الحدود في التصوير، ذلك أنه جعل المحبوبة في مكانة مقدسة توجب خلع النعلين، وهذا تصوير بعيد.

ونمشي حفاةً في ثراها تأدُّباً   نرى أنّنا نمشي بوادٍ مقدّس(١١٢)

وهذا تأثر بقوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴾ (١١٣). واليمين الغموس يقسم به أولئك الذي لا يصدقون:

حلفتُ لكم يوم النّوى وحلفتم   بكل يمينٍ للمحبِّ غموس(١١٤)

وهذا تأثر بقوله: ﴿ وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ﴾ (١١٥).

ويرى الشاعر أن بعض الناس يزداد بهجة حينما يتعزز، ويزداد الفؤاد من فراقه وحشة، ومن هنا ترى مكتوبًا على وجنتيه: ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴾ ، ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴾ (١١٦).

تعزَّزَ بعضُ النّاس فازداد بهجةً   وزاد فؤادي من تباعده وحشًا
لذاك ترى في وجنتيه مسطّرًا   إذا الشمس كورت، والليل إذا يغشى(١١٧)

ويشبه الشاعر نفسه بموسى عليه السلام حين أوحى الله إلى أمه أن تلقيه في اليم لينجو من فرعون، فأبى الرّضاعة من نساء مصر، وصدّ عنهن، وكذلك الشاعر يؤكد على تعلقه بالحبيب، وصدوده عن حب سواه:

كأنّي موسى حين ألقته أمّه   وقد حَرِمَتْ قدِمًا عليه المراضع (١١٨)

وهذا من قوله تعالى: ﴿إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ٣٨ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾(١١٩)، ويستدعي الشاعر صورة دينية، وردت مفرداتها في القرآن الكريم، يحاول من خلالها التأكيد على تعلقه بالأصل، وعدم الالتفات إلى سواه، فالشاعر متشبث بمحبوبته، ولا يرتضي غيرها، على الرغم من الظروف القاسية التي يمر بها، وما يواجهه من تحديات تقف في سبيله، وتمنعه من التواصل معها، وإذا كانت محبوبته تصد عنه، وتتمنع، فإنه يزداد تعلقًا بها، في وقت يرى الطريق معبدة للوصول إلى الأخريات، ويرفض عرضهن، هذه الصورة بما فيها من طموح، وتشبث، وتعلق الشاعر بمحبوبته، ورفض لغيرها، تشبه صورة موسى عليه السلام الذي أُلقي في البحر، وحينما عثر عليه، أبى الرضاعة من نساء المدينة جميعهن، سوى أمه التي تمثل عنصر الأصالة التي أرضعته، وتقبل بناء جسور التواصل معها.

وفي مدحه الملك المسعود صلاح الدين، يظهر التأثر الجلي بالقرآن الكريم من خلال معجزة موسى عليه السلام، حينما استحالت عصاه إلى ثعبان ﴿فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ﴾ (١٢٠)، وكذلك حال الممدوح بقراره وحكمه:

وإن نفثت في الطرسِ منه يراعُـــــه رأيت عصى موسى غدت وهي ثعبانُ(١٢١)

كما يظهر التأثر بارزًا من خلال الكلمة "نفثت" الواردة في قوله تعالـــى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ﴾ (١٢٢)، ويشبه الشاعر مصر بالجنّة حسنًا وجمالاً، فيها الزرابيُّ المبثوثة، والنمارق المصفوفة، ﴿وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ﴾ (١٢٣)، وإيمان الشاعر بالجنة يُعد "من أسس العقيدة الإسلامية، واليوم الآخر (١٢٤):

وكيف وقد أضحت من الحسن جنة   زرابيّها مبثوثة والنمارق(١٢٥)

ويصف الشاعر حالته حينما مات ولده، حيث بلغت به روحه التراقي:

لقد بلغت به روحي التراقي   وقد نظرت به عيني الهلاكا(١٢٦)

وهذا من قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ (١٢٧). ومن الملاحظ في قول الشاعر: (بلغت به روحي) كأن روح الشاعر هي التي تفارق الجسد، وليس ابنه، وهذا تصوير عاطفي يثير المشاعر، إذ من حبه لابنه يشعر أن روحه هي التي تخرج. ومن ممدوحه يطلب التفضّل عليه بالنّعيم:

فتفضَّلْ بقبول حسنٍ   فلك الفضلُ قديمًا لم يزل(١٢٨)

وقوله:

وتلقّى بقبولٍ   حسن فيك دُعائي(١٢٩)

وهذا من قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾(١٣٠). وفي إشارته إلى العُذَّال الذين يلومونه في حبِّه، يرد عليهم مقرِّرًا بأنه لن يتراجع:

تعب العُذَّال بي في حبِّها   قُضي الأمر وجفّ القلم(١٣١)

وهذا تأثر بقوله تعالى: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾(١٣٢)، ويدل التركيب "جفَّ القلم" على أن: كل شئ قد قُضي، وحسم أمره، ولا مجال للمساومة، وهذا تأثر واضح بالقرآن الكريم ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾(١٣٣).

وعندما خالطت دموعه المالحة مياه النيل العذبة، استذكر قوله تعالى ﴿ مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ﴾، وكأن من ينظر في النيل، فإنه سيلمح بوضوح دموع هذا الحبيب التي يذرفها وسط المياه العذبة. وهذا تأثر بقوله تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ﴾ (١٣٤).

فما فاض ماءُ النيل إلا بمدمعي لقد مرج البحرين يلتقيان(١٣٥)

وفي مدح الشاعر للملك المسعود صلاح الدين الملك الكامل بعد رجوعه من اليمن، يصفه بأنه المُدافع عن الحق والإسلام، وبه يُهزم الشرك والكفر، فتعتز به البلاد المقدسة من البيت والحرم، وهو بهذا العمل يغرس المعروف الذي يعود عليه بالنفع، والخير، والفائدة في الدُّنيا والآخرة، بالإضافة إلى الصفات الدينية التي وصف بها الممدوح، فهو (برّ، رحيم)، ينتسب إلى أيوب، وحتى أفعاله الطيبة يعتز بها البيت والحرم، إشارة إلى مكانة الممدوح، التي سينال من خلالها الذكر في الدنيا والأجر في الآخرة. يقول الشاعر:

إلى المَلك المَسْعُود البّر الرّحيم فحدِّثوا بأعجب شيء إنه البَرُّ والبحرُ
تكَنّفَه منْ آل أيّوبَ مَعْشَرٌ بهمْ نَهضَ الإسْلامُ واندَحَضَ الكُفْرُ
وكم لك من فعلٍ جميل فعلته فأصبح معتزاً به البيت والحرمُ
ومن يغرس المعروفَ يجن ثمارَه فَعَاجلُهُ ذكرٌ وآجلُه أَجرُ(١٣٦)

وفي هذه الأبيات تأثر واضح بقوله تعالى: ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾ (١٣٧). ويكتوي الشاعر بنار جوى الحبّ، ويُسقى الخمر التي تهزّ شاربها، ويسقى كأسًا مملوءة.

ويَصلَى جَحيمًا وهي في الحُسْن جَنة ويُسقى دهاقًا وهي صهباءُ قَرقَفُ(١٣٨)

وهذا من قوله تعالى: ﴿ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ﴾ (١٣٩)، ويقرن الشاعر أيضًا بين عذاب الحب، وعذاب الكافر في نار جهنم، دلالة واضحة على الحرقة التي تصيب الأحبة. ولا يفضّل الشاعر التنبيه إلى أكاذيب من سبقه من الناس، فقد كذّبوا يعقوبًا واتهموا يوسف بالسرقة:

وقد كان قولُ الناس في الناس قبلنا ففُنِّد يَعقُوبُ وَسُرِّق يُوسفُ(١٤٠)

وهذا تأثر واضح بالقرآن الكريم: ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ ﴾ (١٤١). ومما سبق يتضح تأثر الشاعر بالمفردات، والتراكيب الإسلامية، فقد اقتبس الكلمات: الناسخ، والوادي المقدّس، واليمين الغموس، والزرابي المبثوثة، والنمارق المصفوفة، وشهر الصوم، وألف عام، والتراقي.

كما أشار إلى القصص الدينية المستقاة من القرآن الكريم، وعلى سبيل المثال: قصة موسى عليه السلام وقومه الذين عاقبهم الله بالتيه، وعصاه حينما تحوّلت ثعبانًا، وقصته حينما ألقته أمه في اليمِّ، وقصة سليمان عليه السلام حينما عُلِّم منطق الطير، وقصة يعقوب، وقصة يوسف –عليهما السلام–.

ويلحظ الباحث أن تأثر الشاعر بهذه المفردات، والتراكيب، والقصص القرآنية، كان موظّفا توظيفًا دقيقًا ليخدم الفكرة التي عرضها الشاعر في سياقها، وجاءت شاهدًا يعزّز ظلال الفكرة، والدّلالة التي يطرحها الشاعر، فكانت منسجمة في سياقاتها، مضيفة إلى الفكرة إضاءات وتنويرًا، يكشف عن كنه المعنى الذي يمور في دواخل الشاعر وأعماقه بأسلوبٍ تتوافق فكرته مع النّص المقتبس في عناق موحد لا تنافر فيه أو تناقض، وهكذا فان كثرة ورود الألفاظ، أو الإشارات، أو القصص، أو المواقف المتأثرة بالإسلام تنم على ثقافة الشاعر الدينية، ومبلغ حفظه للنصوص القرآنية وتمثله إياها، والإحصائية الآتية تبين ذلك:

إحصائية تبين عدد المفردات والتراكيب والصور في شعر البهاء زهير التي تأثر فيها بالإسلام.

المفردات	التّراكيب	الصّور
ورد لفظ الجلالة ٤٢ مرة، التوبة، العبد، المنيب، الكريم، السجود، الركوع الحساب، التيه الزرابيّ، النّمارق التّراقي، ليلة القدر الإسلام، الصوم الكفر، الأجر الأجل، العاجل رمضان، التهجُّد الذّكر، الدّهاق التّيه، موسى اليمين الغموس، العذاب الرفق، القناعة الشريفة، المجد الشرف، المصحف الحق، المسرف اللطف، الغافل، البعث، الحياء الطاهر، الوقار الصمت، الخيرات دمث الخلق، المغرور الفلاح، العهد حسن الوفاء، قوم لوط الغني، الخير النعمة، الصحيفة الموت، الغي ٩٦ عدد المفردات	الشكوى لله الله علاّم الغيوب رجوتُ حسن العفو من الله صلى مع الناس إذا الشمس كوِّرت والليل إذا يغشى لقد مرج البحرين يلتقيان يصلى جحيماً فُنّد يعقوب، أعرف كنه باطنه الخبيثا،اكتموا الحديث،متى يفلح، الله اعلم بالسرائر، الله أعلم بالنيّات، اخلص لربك في العمل، لا الريث يدفع مقدورا ولا العجل، سُرِّف يوسف، ألم نشرح، بعد العسر يسر، مذهب غير حميد، تحفظ الحمد ،تسأل عن سبّح، ينتظر لطفا من الله،الحق أبيض أبلج، الغدر لا أرتضيه، جزى الله خيرا، لم ألق لي صاحباً في الله، إذا قلت قولاً كنت للقول فاعلاً، إنَّ بعض الظنّ إثم، صدق الله تعالى، الله سميع الدّعاء مجيب، طلب الصفح عن الإساءة ٣٢ عدد التراكيب	الشّيب ما هو بالسميع ولا المجيب. وخطوب ينقص الصّبر عليها وتزيد. تبشّر عني بالوفاء بشاشتي، وينطق نور الصِّدق فوق جبيني، كان حيائي كافلي وضميني في فعل القول، الدُّنيا جيفة لا يرد الله عن بابه سائلاً أبهم ليلُ الخطب فيه ودجا، اغسل بماء التُّقى خطاياها، وجدت توبته توبة إفلاس، المشيب ينسج أحكام الصّبابة والصِّبا، وكنت كسورة الإخلاص نمشي حفاة كأننا في وادٍ مقدس، رأيت عصا موسى غدت وهي ثعبان، نفثت قي الطرس منه يراعه، قُضي الأمر وجف القلم، لك فعلٌ حميد يعتز به البيت والحرم، من يغرس المعروف يجنِ ثماره ١٨عدد الصور

إنّ المتفحِّص لهذه الإحصائية، يدرك أثر الإسلام في شعر بهاء الدين زهير، من حيث المفردات، والتراكيب، والصور، فهناك حضور مكثّف لكلمات تتعلق بلفظ الجلالة وصفاته، وأخرى منتخبة من السلوك الإيماني والعقدي، وأخرى مختارة من معجم أركان الإسلام كالصلاة، والصوم، والقضاء والقدر، واليوم الآخر، وقد جاءت جميعها في سياق من المحاور الثلاثة الآنفة الذكر التي، تتمحور حول أثر الإسلام في شعر البهاء زهير، وعلى صعيد التراكيب فقد وردت جمل متأثرة بالمعجم القرآني بحرفيتها أو بمعناها، وتدور حول قصص بعض الأنبياء، والمظاهر الكونية المختلفة، إذ أنها جاءت موظّفة في سياقاتها المختلفة لخدمة الغرض الذي يسعى إليه الشاعر.

وأما الصّور الشعرية التي تضمنتها النصوص الشعرية، فكانت تتمحور حول القيم الإيمانية، والاتجاهات الأخلاقية، التي أضفي عليها الشاعر طابع التشخيص، والأنسنة، لما لهذا من تأثير واضح، وبيِّن في نفس المتلقّي، وتقريب المشهد إلى وجدانه، ومشاعره، وانفعالاته، بصورة تجعله أكثر تفاعلاً، وأكثر قدرة على التأقلم، والانسجام الروحي والمعنوي.

نتائج البحث

بعد هذه الجولة في ديوان الشاعر، والولوج إلى فكره، ووجدانه، ولغته، وأسلوبه، يستنتج الباحث جملة من النتائج: يتصدّرها إيمان الشاعر بوحدانية الله -عز وجلّ- وأنه وحده القادر، الرحيم العليم، وإذا كان الشاعر تحكمه هذه النزعة الدينية، ويتمثَّلها بكلِّ أبعادها، ودلالاتها، فإنَّه محكومٌ بالأخلاق الإسلامية، والمُثُل العليا التي نادى بها الإسلام ودعا النّاس إلى الالتزام بها، وجعلها منهج حياة، وسبيلاً للعمل في بناء العلاقات مع النفس والآخرين.

وتتضح تلك القيم من خلال الشِّعر الذي يتضمنها، مُتأثرًا فيها بما ورد من مزايا وصفات إسلامية، وأخلاق فاضلة في القرآن الكريم، وإن دارس شعر بهاء الدين زهير يندهش لكثرة ورود لفظ الجلالة في ثنايا شعره في مجالات حياتية مختلفة، كما يلحظ تنوّع المفردات، والتراكيب التي جاءت مقتبسة من القرآن الكريم، موظّفةً توظيفًا بارعًا لتطوير الفكرة، وتعميقها، وإضفاء الأجواء الدينية عليها، وهذا يدلّ بوضوح على أن الشّاعر لديه الأداة الفنية في اقتباس النصوص القرآنية لخدمة المعنى في سياقه، فما يُقدِّمه من آيات كريمة، يأتي في إطار تداخل النّصوص، وتشرُّبها، وليس في إطار المعالجات السطحية.

وثمّة قضية تستحق الكشف عن مضامينها، وهي التوبة والاستغفار، فالشاعر إنسانٌ يخطئ ويصيب، ويتنكّب جادة الطريق أحيانًا، ولكنه لا يتمادى في الخطأ، أو يصرَّ على ممارسته، وديمومته، فحينما يستشعر الذَّنب يدفعه ذلك إلى الرُّجوع إلى الله طلبًا للصفح والمغفرة. وتتجلَّى تلك الصُّورة بأبهى ألوانها حينما ينطلق من واقعه الحياتي المُعاش، فحينما يشتعل رأسه شيبًا، يزداد حُرقةً وحزنًا على نفسه عندما كانت تلهو أيَّامَ الشَّباب، فيتوجّه إلى الله بالدُّعاء: أن يغفر ذنوبه في وقت يغرق فيه الآخرون بالمنكرات، ولا يمتثل لرغباتهم، بل يدعوهم إلى العودة إلى منهج الهدى والرُّشد.

ولا يُفارقه خلقه القرآني حتى في مواطن الغزل واللهو، فالعِفّة والطهارة ورفض الدَّنايا شعاره كما يقول:

وإنِّي وإن هزَّ الغرامُ معاطفي لآبى الدّنايا نخوةً وتعرُّبا(١٤٢)

ولعل هذه القيم والأخلاق التي يتحلى بها الشاعر تُعزِّز في نفوسنا جميعًا الثبات على المبدأ، وتدقّ في مشاعرنا ووجداننا ناقوس خطر الموت الذي آمن به الشاعر، فالإنسان مهما عاش وتقلّب في هذه الدُّنيا فإنه في طريقه إلى الموت،

وينبهنا الشاعر إلى حقيقة أخرى وهي: أن الأيام دول، ولا تبقى على حالها، فهي متقلبة، يوم سعادة، وآخر حزن وشقاء. ويسترعي انتباه الباحث التزام الشاعر بالقيم الفاضلة، والأخلاق الإسلامية، في شتى الفنون، والأغراض التقليدية، فمرجعيته واحدة لا تناقض فيها ولا اختلاف، وهي تنبئ عن ثبات في العقيدة، والتزام بنصوصها، وتوجيهاتها، وصدق في التنفيذ والتطبيق.

ولعل اللغة الشعرية التي ينطق بها الشاعر تلتقي هي الأخرى مع المسألة الآنفة الذكر وهي الثبات والالتزام، فلغة الشاعر تتميز بسهولتها ورقتها وعذوبة ألفاظها وسلامتها، فلا غموض فيها ولا تعقيد، كبساطة صاحبها، ولطافة أخلاقه، وسلسبيل معانيه، كأنه يغرف من بحر، وربما يعود ذلك إلى آلية خطابه، الذي يصدر من القلب إلى القلب، وإلى منهجه الواضح المتأثر بالإسلام.

الهوامش

١- **ابن خلكان**، *وفيات الأعيان*، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، م ٢/٣٣٢-٣٣٨.

٢- **بهاء الدين زهير**، *الديوان*، شرح عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٦٩.

٣- *المصدر نفسه*، ص ٢٥.

٤- *المصدر نفسه*، ص ٤٩.

٥- المصدر نفسه، ص ٥٤.

٦- **سعد أبو الرضا**، الأدب الإسلامي قضية وبناء، عالم المعرفة، ط١، ١٩٨٣م، ص ٢٣.

٧- *المصدر نفسه*، ص ٨.

٨- **بهاء زهير**، *الديوان*، ص ٦١.

٩- *المصدر نفسه*، ص ١٦.

١٠- *المصدر نفسه*، ص ١١٨.

١١- *المصدر نفسه*، ص ٣٩.

١٢- **عبدالرحمن رأفت باشا**، *نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد*، السعودية، الرياض، ١٩٨٥م، ص ص: ٩٧-١٠٣.

١٣- **بهاء زهير**، *الديوان*، ص ص: ٦٨-٦٩.

١٤- *المصدر نفسه*، ص ٢٤٧.

١٥- سورة الناس، آية (٤).

١٦- **ابن حجر**، *العسقلاني فتح الباري*، الحديث، رقم ٦٠٥٣.

١٧- *الأدب الإسلامي قضية وبناء*، ص ٢٢.

١٨- *ديوان بهاء زهير*، ص ٢٠٦.

١٩- سورة الأنفال، آية (٤٤).

٢٠- **ابتسام مرهون الصغار**، *أثر القرآن في الأدب العربي في القرن الأول الهجري*، جامعة مؤتة، كلية الآداب، جهينة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٧٦.

٢١- **عمر عبدالرحمن الساريسي**، *معالم الأدب الإسلامي*، المصطلح، الخصائص، القضايا، الفنون، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٢١.

٢٢- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ٥٩.

٢٣- *معالم الأدب الإسلامي*، ص ٦٠.

٢٤- سورة الشرح، الآيتان (٥ – ٦).

٢٥- **صابر، عبدالدايم**، *الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق*، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٣٥٦.

٢٦- سورة الشعراء، آية (١٦٠).

٢٧- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ٧٣.

٢٨- **قطب، محمد**، *منهج الفن الإسلامي*، دار الشروق، ١٩٧٢م، ص ١٧٤.

٢٩- **ديوان بهاء الدين زهير**، ص ص: ٦٠- ٦١.

٣٠- *المصدر نفسه*، ص ٧٠.

٣١- *المصدر نفسه*، ص ٢٣١.

٣٢- *المصدر نفسه*، ص ١٦٧.

٣٣- سورة الملك، آية (١٥).

٣٤- **تحرير جميل، بني عطا**، الأدب الإسلامي الواقع والطموح، بحوث *المؤتمر الثاني*

لكليات الآداب، جامعة *الزرقاء الأهلية*، الزرقاء – الأردن، ١٩٩٩م، ٢٠٠٠م، ص ٦٢٥.

٣٥- **ابن خلكان**، *وفيات الأعيان*، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩م، ٣٣٢/٢.

٣٦- **منجد مصطفى بهجت**، *الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهد ملوك الطوائف والمرابطين*، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٦م، ص ٢٣١.

٣٧- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ٣٥.

٣٨- *المصدر نفسه*، ص ١٩٩.

٣٩- **عبدالفتاح شلبي**، *البهاء زهير*، دار المعارف بمصر، ط٢، ١١١٩م، ص ٥٦.

٤٠- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ١٦٦.

٤١- *الاتجاه الإسلامي*، ص ٢٢٥.

٤٢- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ٤٩.

٤٣- *المصدر نفسه*، ص ٥١.

٤٤- *المصدر نفسه*، ص ١٤٩.

٤٥- نحو مذهب *إسلامي في الأدب والنقد*، ص ١١٦.

٤٦- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ٦٦.

٤٧- **المقريزي**، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ٤٤٢/١-٤٤٤.

٤٨- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ١٣.

٤٩- *المصدر نفسه*، ص ١٢١.

٥٠- *المصدر نفسه*، ص ١١٨.

٥١- **شوقي عبدالحليم حمادة**، *الأدب العربي بين الصدق الفني والأخلاقي في صدر الإسلام*، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص ١٥١.

٥٢- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ص: ٢٧٧-٢٧٨.

٥٣- سورة الإسراء، آية (٢٣).

٥٤- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ٣٨.

٥٥- *المصدر نفسه*، ص ١٢٧.

٥٦- سورة المائدة، آية (٥٤).

٥٧- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ١٥٨.

٥٨- *المصدر نفسه*، ص ١٣١.

٥٩- *نحو منهج إسلامي في الأدب والنقد*، ص ١٣١.

٦٠- *الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي*، ص ٢١٩.

٦١- سورة الصف، آية (٣).

٦٢- *الأدب الإسلامي الواقع والطموح*، ص ٦٢٢.

٦٣- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ٢٦٧.

٦٤- *البهاء زهير*، ص ٤٦.

٦٥- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ٣٨.

٦٦- *المصدر نفسه*، ص ١٧٣.

٦٧- **إحسان عباس**، *تاريخ الأدب الأندلسي*، عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩م، ص ١٥٧.

٦٨- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ٢٠٩.

٦٩- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ١٥٦.

٧٠- *المصدر نفسه*، ص: ١٥٦.

٧١- *المصدر نفسه*، ص ص: ١٥٦-١٥٧.

٧٢- *المصدر نفسه*، ص: ١٥٧.

٧٣- سورة النمل، آية (٦٢).

٧٤- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ٢٨٠.

٧٥- *الاتجاه الإسلامي*، ص ٢٥٤.

٧٦- سورة آل عمران، الآيات (١٣٣-١٣٥).

٧٧- سورة غافر، آية (٦٠).

٧٨- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ٢٣٣.

٧٩- *الاتجاه الإسلامي*، ص ٢٥٨.

٨٠- سورة غافر، آية (٣).

٨١- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ٢٠٣.

٨٢- **صالح آدم بيلو**، *من قضايا الأدب الإسلامي*، جدة- دار المنارة للنشر، ط١، ١٩٨٥م، ص ٧٤.
٨٣- *نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد*، ص ١١١.
٨٤- سورة آل عمران، الآيات (١٣٥-١٣٦).
٨٥- سورة الطلاق، آية (٢).
٨٦- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ٥٠.
٨٧- *المصدر نفسه*، ص ص: ٦٨-٦٩.
٨٨- سورة الشورى، آية (٢٥).
٨٩- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ١٧.
٩٠- *المصدر نفسه*، ص ص: ٢٦٢- ٢٦٣.
٩١- *المصدر نفسه*، ص ١٣٠.
٩٢- *معالم الأدب الإسلامي*، ص ص: ٦١-٦٢.
٩٣- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ص: ١٤٠-١٤١.
٩٤- *المصدر نفسه*، ص ١٤١.
٩٥- *المصدر نفسه*، ص ١٤١.
٩٦- *المصدر نفسه*، ص ٢٧٨.
٩٧- *المصدر نفسه*، ص ١٣٠.
٩٨- *من قضايا الأدب الإسلامي*، ص ٧٩.
٩٩- *الاتجاه الإسلامي*، ص ٢٦٢.
١٠٠- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ٢٦٦.
١٠١- سورة القدر، الآيات (١-٣).
١٠٢- *الأدب الإسلامي، الواقع والطموح*، ص ٣٤٨.
١٠٣- سورة النمل، آية (١٦).
١٠٤- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ٦٩.
١٠٥- *البهاء زهير*، ص ٥٤.
١٠٦- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ١٧.
١٠٧- سورة البقرة، آية (١٠٦).

١٠٨- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ٢٧٣.

١٠٩- *المصدر نفسه*، ص ٣٠.

١١٠- سورة لقمان، آية (٣٤).

١١١- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ١١٧.

١١٢- *المصدر نفسه*، ص ١٢٧.

١١٣- سورة طه، آية (١٢).

١١٤- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ١٣٠.

١١٥- سورة التوبة، آية (٥٦).

١١٦- سورة التكوير، آية (١)، وسورة الليل، آية (١).

١١٧- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ١٣٢.

١١٨- *المصدر نفسه*، ص ١٤٣.

١١٩- سورة طه، الآيتان (٣٨)-(٣٩).

١٢٠- سورة الأعراف، آية (١٠٧).

١٢١- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ٢٤٢.

١٢٢- سورة الفلق، آية (٤).

١٢٣- سورة الغاشية، الآيتان (١٥- ١٦).

١٢٤- *أثر القرآن في الأدب العربي في القرن الأول الهجري*، ص ٣٧.

١٢٥- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ١٦٦.

١٢٦- *المصدر نفسه*، ص ١٧٩.

١٢٧- سورة القيامة، آية (٢٦).

١٢٨- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ٢٠٨.

١٢٩- *المصدر نفسه*، ص ٢٠٨.

١٣٠- سورة آل عمران، آية (٣٧).

١٣١- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ٢١٧.

١٣٢- سورة يوسف، آية (٤١).

١٣٣- سورة الأحزاب، آية (٣٨).

١٣٤- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ٢٤٦.

١٣٥- سورة الرحمن، آية (١٩).

١٣٦- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص ١٠٠.

١٣٧- سورة الإسراء، أية (٨١).

١٣٨- سورة النبأ، آية (٣٤).

١٣٩- ديوان بهاء الدين زهير، ص ١٥٣.

١٤٠- *المصدر نفسه*، ص ١٥٥.

١٤١- سورة يوسف، آية (٧٧).

١٤٢- *ديوان بهاء الدين زهير*، ص١٨.

المراجــع

القرآن الكريم.

أبو الرضا، سعد (١٩٨٣م) *الأدب الإسلامي قضية وبناء*، عالم المعرفة، جدة.

ابن خلكان (١٩٦٩م) *وفيات الأعيان*، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

الباشا، عبدالرحمن رأفت (١٩٨٥م) *نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد*، السعودية، الرياض.

بني عطا، جميل (١٩٩٩م) الأدب الإسلامي الواقع والطموح، *بحوث المؤتمر الثاني لكلية الآداب بجامعة الزرقاء الأهلية، الزرقاء، الأردن.*

بهجت، منجد مصطفى، *الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهد ملوك الطوائف والمرابطين*، مؤسسة الرسالة، بيروت.

بيلو، صالح آدم (١٩٨٥م) *من قضايا الأدب الإسلامي*، جدة، دار المنارة للنشر.

حمادة، شوقي عبدالحليم (د.ت.) *الأدب العربي بين الصدق الفني والأخلاقي في صدر الإسلام*، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

زهير، بهاء الدين، (١٩٩٦م) *الديوان*، شرح عمر فاروق الطبّاع، دار الأرقم، بيروت.

الساريسي، عمر عبدالرحمن، (٢٠٠٣م) *معالم الأدب الإسلامي*، المصطلح، الخصائص، القضايا، الفنون، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.

شلبي، عبدالفتاح (١١١٩م) *البهاء زهير*، دار المعارف بمصر، ط٢.

الصغار، ابتسام مرهون (٢٠٠٥م) *أثر القرآن في الأدب العربي في القرن الأول الهجري*، جامعة مؤتة، كلية الآداب، جهينة للنشر والتوزيع.

عباس، إحسان (١٩٥٩م) *تاريخ الأدب الأندلسي*، عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت.

عبدالدايم، صابر (٢٠٠٣م) *الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق*، دار الشروق.

قطب، محمد (١٩٧٢م) *منهج الفن الإسلامي*، دار الشروق.

المقريزي (١٩٩٧م) *السلوك لمعرفة دول الملوك*، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

The Impact of Islam on Baha'a Addean Zuhair Poem (D. 656 H)

Hassan Faleh Bkour

Participant Professor in King Hussien Ibn Talal University
Arabic Language Literature Section – Ma'an – Jordan

Abstract. The researcher in this study aimed to clarify the effects of sensation Baha'a AlDeen Zuhair in Islam: Synthesizing and language, in the poem instruction, thoughts, and approach of life in his reality and day life reaction, and the social relations. To attain, this principle, and this purpose: the researches attached four cores.

The first core discussed the faith of the poet when he believed in the uniqueness God, predestination, the descriptions of God, hi knowledge in secretes and God is the Provider and merciful. All of these clarified in his poem that discussed this kind of faith. The second core: Discussed the morals of the poem: Veracity, homage, self-esteem, be patient on harm deeds, toleration, high level of morals, self purity, language, chastity, asceticism in the disposable demesne, and the effects of Islam in forming these morals in his poetical works.

The third core: was specialized in contrition, and ask pardon: both of these the effects on Islam was clear. Because the poet understood that contrition has faith dimension because of the big number of verses mentioned in Holy Quran. In this core: The poet expressed about his contrition, in painful way because he had many mistakes in his past days.

The final core was titled: The language formation, the researcher purified and introduced many poem vocabularies and compounds which opposed in poem to serve the central ideas in different fields, the poet used these compound words, that were used in poem and some stories were mentioned in Holy Quran using them to serve the idea and it's development, we can see all of that through Islamic effects on his poem in clear picture without any vague.